مرافعة سينمائي عربي من اجل خلق حركة سينمائية جديدة في العالم العربي

ف. المنصور

فلسطين ، سينمائيا ، هي حلم اليقظة الذي طالما راود وسيظل يراود مخيلة كل سينمائي عربي ملتزم بالقضية ، ويقض مضجعه كعذاب الضمير . ومأساة فلسطين المستمرة منذ اكثر من نصف قرن ، والتي عبرت حتى الى داخل حدود اللاوعي في العقل العربي ، وباتت الهاجس المقدس الذي ترجمه الفنانون عبر السنين شعرا وقصة ومسرحا ورسما ونحتا وموسيقى ، هذه المأساة الكبرى لم تجد حتى الان من يوصلها الى دار الفن السابع ، لتصبح عند ذلك اللغة العالمية ، بل اللهجة المحكية الدارجة ، لسواد البشر في انحاء الارض.

لم تصل القضية الفلسطينية الى الشاشة الكبيرة المخضرمة (السينما) ولا الى الشاشة الصغيرة الجديدة (التلفزيون) مع ان الفن السابع هو ذاك الفن الذي بامكانه ان يسجل النكبة وثائقيا ، ويقدمها نابضة بالحياة في جانبيها ، البطولي والمأساوي ، الى كل من يرى ويسمع ويفهم ، وعلى نطاق لا يصل اليه الكتاب او المسرح ، ولا يجاريه فيه حتى ميكروفون الاذاعة .

فلسطين بأمس الحاجة الى جهود الفن السابع لانها كانت وما زالت المتهم الذي تضافرت آراء اكثر المحلفين على ادانته ، مع انه البريء وغيره الجاني . ولما كان الدفاع بحاجة الى ادلة وبراهين من أجل اسقاط الحكم الجائر ، ولما كان التاريخ في هذا العصر لا يدون فقط على صفحات الكتب والصحف ، وانما يسجل ايضا على مادة السليولويد التي يتكون منها الشريط السينمائي ، وعلى الفيديوتيب ، فمن الواجب الا تظل فلسطين كما كانت حتى اليوم : **اطول شريط سينمائي خام في العالم** ، شريط لا يزال يبحث عن جيل كامل من السينمائيين ليعكسوا عليه الضوء ،ويسجلوا عليه رؤياهم الفلسطينية والثورية، شريط ما زال تائها في اوديسة لا مرئا لها كرحلات الهولندي الطائر .

قديما قيل ان اثينا العصور الذهبية كانت تمتلك جميع المؤرخين ، مما جعل اسماء اعدائها تصل الينا سوداء كالفحم . واليوم حلت تل ابيب محل عاصمة الاغريق القدامى ، فتربعت على مقعد القضاء في محكمة التاريخ ، وكانت هي المدعي العام ايضا ، وهي هيئة المحلفين ، وحتى اليد الماسكة بالقلم الذي « يدون » اجراءات القضية هي يدها . فهل نعجب اذا كان اسم العرب اليوم في العالم كالطين ؟ وهل نستغرب اذا كان المجنى عليه هو المتهم ؟ فلاننا لم نشرع في جمع ادلة براءتنا والبراهين على ادانة غيرنا الا قبل اعوام معدودة، ولاننا لم ننجح حتى اليوم في ايصالها مسجلة وشاملة الى مسامع وانظار العالم ، لا زالت قضيتنا معلقة . ولما كانت هيئة المحكمة المنحازة هي نفسها ، لم تتغير ، فالمطلوب منا أن نتجاوزها لنصل الى جماهير الناس المكتظة خارج قاعة القضاء . واسرع واقصر طريق لذلك يمر عبر قنوات الفن السابع .

سابقا قيل : كيف يمكن للاعلام ان يقوم بدوره في غياب المحارب ؟ بل ما نفعه اذا لم تقف خلفه ثورة ؟ عندما لاحت تباشير الثورة في مطلع ٦٥ ، وبعد « الكرامة » وعشرات المعارك غيرها ، قيل لنا : الثورة في حد ذاتها هي اعلام مسلح ، وكل